أذنٌ واعية

المحاضرات

خطبة جمعة

2025-07-25

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

ملاحظة : النص تفريغ آلي سيتم إضافة النص بعد التنسيق قريبا

عبد الدين الاسلامي

يا ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد. أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك؟ وكيف نضل في هداك؟ وكيف نذل في عزك؟ وكيف نضام في سلطانك؟ وكيف نخشى غيرك. والأمر كله إليك. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى ال سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا. وبعد. فيا أيها الإخوة الأكارم. الخمر نوعان رئيسيان. خطب في الوعظ. وهذه كثيرة. وخطر في الوعي. وهذه نادرة. وخطب الوعظ مهمة.

ومطلوبة. تحرق القلوب وتحض على العمل الصالح. وعلى الاستقامة. على منهج الله تعالى. لكنها لا تكفي وحدها. فكم من سلوكات اراد اصحابها بها خيرا. لكن بسبب ضعف الوعي والادراك. ادت تلك السلوكات الى شر مستطير. واما خطب الوعي فهي قراءة للتاريخ وفهم للواقع واستشراف للمستقبل. فهي تدفع الى العمل في محصلة الامر. لكنه العمل عمله الناشئ عن الوعي، وعندها يكون العدل أعمق أثرا وأطول أمدا وأعظم تأثيرا وفاعلية وتأثيرا. أيها الأخوة الكرام. لكن خطب الوعي ثقيلة على النفس والفكر الا انه علاج لا بد منه لا سيما في ظروفنا الراهنة. والعلاج كثيرا ما يكون مرا. ايها الاخوة الكرام. لقد مررنا في الايام الماضية بظروف صعبة في بلدنا. ولقد ظهر على وسائل التواصل والاعلام من الاخطاء الكارثية وحتى ممن يسمون النخب. ولا احب هذه التسمية. ولكن لتعلموا من اقصد وحتى ممن يسمون النخب الدينية والسياسية والاقتصادية ما لا حصر له من المشكلات. وهذا يدل على ضعف في الوعي العام. وهنا لا أقول ان كل امريء يجب ان يكون واعيا ملما بالاحداث من حوله سياسة ودينا واقتصادا. ولكن هناك خيارا اسمه الصمت. ان يصمت الانسان ان تكلم تكلم بإدراك ووعي او فليصمت.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او فليسكت خياران. أنت في بحبوحة وأنت في بحبوحة. اما ان تتكلم خيرا. وهناك خيار اسمه الصمت. وفي الحديث الشريف. من صمت نجا من صمت نجا. نجا من المسؤولية بين يدي الله تعالى. نجا من تعلق حق برقبته. نجا من اتهام بريء بتهمة باطلة. نجا من دم. ربما اشترك وهو لا يدري. نجا من فتنة عظيمة تعلقت برقبته. قال تعالى. إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية. الأذن الواعية أيها الكرام تسمع وتعقل، ثم تتكلم أو تكتب منشورا على وسائل التواصل، تسمع، تعقل، تنشر، هذه هي التراتبية، أما تسمع وتنشر مباشرة. هذه ليست أذنا واعية. كل إنسان يسمع ويتكلم. لا يملك أذنا واعية. يملك أذنا سامعه. لكنها ليست أذنا واعية. أيها الإخوة الكرام. الأذن الواعية لا تكتفي بالسماع بل تضيف إليه العقل، أي فهم المعلومة وربطها بمحيطها، أما سماع المعلومة ثم نقلها قبل التحقق منها ووعيها وفهم المراد من نشرها فقد يكون فيه إثم كبير. يقول صلى الله عليه وسلم.

كفى. كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع بعد الأذن الواعية. يسمع فيحدث بما قالوا لي. منقول. العهد على الناشر. أنا لا علاقة لي وبظن انه يخلي مسؤوليته. انا كتبت بعد المنشور منقول منقول عنه. ومن الناقل؟ وهل هو ثبت؟ وهل هو ثقة؟ أيها الإخوة الكرام. قد سمى المولى جل جلاله من لا يتحققون من الخبر. قال تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا. التبين والتثبت. وذلك جل جلاله من يذيعون الخبر دون عقله وفهمه. ومن اعظم ما يعقل به الخبر ان يرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والى العلماء القادرين على الاستنباط. قال تعالى وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف في اذاعه اذاعه مباشرة اذاعه بالامل. ولو ردوه الى عصرهم الذي تعذروا به. او قل ما خطأهم الاستراتيجي بالعبارة الحديثه. وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير. وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير. اما انه معطل السمع لا يريد ان يسمع. او انه سمع. لكنه لم يعقل. فقط سمع أذنه ليست واعيه. فاستحق النار. وفي الحالتين كأنه لم يسمع.

النتائج متشابهة. لو كنت امام انسان. ووجدت على كتفه عقرب. أقسم على نفسي. فقلت له يا فلان على كتفك عقرب. لم يسمع سمعه ضعيف فما تحرك مشكلة. الحالة الثانية. يا فلان على كتفك عقرب سبع. التفت إليه، قال لك شكرا على هذه الملاحظة الجيدة، أنا أشكر لك معروفك معي. هل سمع ما قلته؟ لا والله. لو سمع لاستجاب ولا. انتفض فورا وألقى. اللباس من على كتفه. ونجا من العقرب ومن لدغته. لكنه لم يسمع. قال تعالى. وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير. وقال تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون. لم يستجيبوا. يسمعون فقط ولا استجابة. أيها الأخوة الكرام. لقد شاهدنا جميعا ما حصل. واصدقكم القول ان من اعظم ما ساءني شخصيا في الحدث انني كنت اذا تابعت ما يقوله الناس لا سيما الطبقة المثقفة. هالني. هالني انجرارهم نحو الكلام لمجرد الكلام والمسارعة الى نقل الاخبار على صفحاتهم والمسارعة الى تلبية طلبات الجمهور. فبدلا من ان يقودوا الناس بصوت الحكمة والتعقل اصبحت الناس تقودهم الى العواطف والى ردات الفعل المخزية. قال تعالى إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم.

ايها الاخوة الكرام. ما يجري في بلدنا اليوم لا يقرأ منفصلا عن سياقه العام والوعي فيه مطلوب. معظم الحكومات، لا سيما المستبدة منها، تقوم على ايديولوجيا او فكر معين، وتدعي انها تضحي من اجل هذا الفكر وتقاتل من اجله، ليكون ذلك مبررا لاستمرار وجودها. النظام القائم منذ ستين عاما كان يقوم على ايديولوجيا حزب البعث ويرفع شعاراته ويدافع عن مبادئه بزعمه. رغم انه متنصل من كثير من مبادئه وهو أول كافر بها. الوحدة والحرية والرسالة الخالدة. وهو أول الكافرين بها. لكنه يدافع عنها لان وجوده مرتبط بها ويدافع عنها بزعمه. بأن زوالها يعني زوالها. ولقد كان من ضمن فكر هذا الحزب الحرب على الدين. الحرب على الدين بطريقة خبيثة عن طريق حصره في المساجد مع رقابة شديدة، ومنع امتداده الى مفاصل القرار والى الدوائر العامة او حتى الى المجتمع. ومن اجل ذلك حصر التعليم بيده وحده. تعليم الجيل بيده. وأنشأ لكل فئة منظمة الابتدائي، طلائع البعث الاعدادي والثانوي، اتحاد شبيبة الثورة الجامعي، التدريب الجامعي. فكل مرحلة هو يتولى تثقيفها بما يريد هو. سوريا الجديدة لا بد ان تقف على ايديولوجيا لا تقوم دولة الا على شانك.

لا يقوم نظام الا على ذلك. وتلك الايديولوجيا لا ترعب الغرب والصهاينة. لو كانت عميلة تابعة لهم تأتمر بأمرهم. قال تعالى. ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم. فاذا اتبعنا ملتهم رضوا عنا واغرقنا بالخيرات كما يقال. والخير من الله وحده. ولا تخيفهم ايضا تلك الايديولوجيا لو كانت تدينا مشوها. لو كانت متدينة. لكن تدينا مشوها. لا تخيفهم. وقال ان التشوه هنا. اما التنازل عن الثوابت. التفلت بدعوى التجديد في الدين. او التشدد الذي ينفر الناس من الدين. هذه ايضا لا تتفق ان كان هناك تشدد. أسئلة مكررة في الدين. الدين ليس فيه جهاد، ليس فيه حجاب للمرأة، هو مجرد صلاة في المسجد لا يخيفهم، أو كان تدينا مشوها بطريقة التنفير من الدين. يعني إذا رأيت الصورة النمطية للمتدين رجل قاسي بالطبع جالس يتعامل مع الناس بقسوة أيضا لا تخيفهم، قال تعالى. وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا. شوهت الدين اتخذك خليلا، حبيبا، صديقا، عنده مشكلة، معك، عنده مشكلة مع الدين الحق مع التدين المشوه. ما عنده مشكلة التدين المغشوش.

أيها الكرام لا يخيف الغرب ولا يخيف الطغاة. بل يستخدمونه لإحكام السيطرة على الشعوب. من هنا كان ماركس وأنا لا أحب الاستشهاد بهؤلاء على المنابر، ولكنني مضطر هنا. كان ماركس يقول الدين زفرة المخلوق المظلوم. قلب عالم لا قلب له. جميل الكلام. الدين قلب عالم لا قلب له. كما انه روح الأوضاع التي بلا روح. ثم يقول بعدها. والدين أفيون. الشعوب مخدر. كيف ذلك؟ هو يرى أن الدين يحقق شيئين متعارضين. إما أن يكون يعزي الناس. يخفف مصابهم وألامهم. أو أن يكون نفسه مخدرا للشعوب يمنعها من المطالبة بحقوقها. نعم أيها الكرام. الدين الذي أنزله الله تعالى ليزيل البؤس ويرفع الظلم ويدفع الى العمل، ويشجع على التعاون، وينبذ الطائفية والعصبية والقبلية، ويبني الاوطان ويدفع العدوان. لكن التدين المغشوش يزرع العداوات ويحارب التغيير ويدفع الى الفوضى. ويستخدمه الطغاة لتخدير الشعوب وتثبيها عن المطالبة بحقوقها. وتنفير الناس الى الدين. هذا التدين المغشوش. الدين يجمعنا. شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. الدين لا يفرق بين الناس أيها الكرام.

أحداث السويداء الأخيرة ليست نزاعا داخليا فحسب، وإن كانت لا تخلو من ذلك. لا تخلو من ذلك. فالعدو لا يدخل من حدودنا. يحوننا. لكنهم يتسرب كالنمل من عيوننا. ولكنها حرب. في حقيقتها. يشنها العدو الصهيوني. لأنه يستشعر الخطر. وفي ظل هذه الحرب. ليس لنا ترف الخيارات. ما عندنا خيارات. أحبينا أم كرهنا. خيارنا الوحيد أن نقف مع شعبنا ومع دولتنا. وأن ننهض. وأن ناصحا. وان نسارع بمعاقبة ومحاسبة كل الجموع التي تبحث عن لقمة تأكله. بل عن لقمة تطعمها لأطفالها. ليس هناك وقود لتشغيل المستشفيات. المرضى يموتون على المسيرة هذه. هذا هو عدونا. وهذه حربه علينا. في بعض الأحيان تصل إلى نقطة تشعر معها أن الكلمات عاجزة عن التعبير. وان الصمت اقولها صمتا. اصرخي واسمعي يا امتي. ما عدت أصبر أن يموت بياني. ماعاد يحويني سكوتي والبكاء. أنا لست مشغولا على الخزلان. انا مسلم. والمجد يقطر كالندى. والعز كل العز في ايماني. اين الذين تشدقوا بعروبة. وغزة تصفع وجه كل جبان. اين الحقوق وقد ابيدت امة. وأنا الملام. إذا صرخت كفاني. سلمت.

سلمت علي. حفظا للحقوق. لهرة الهرة الأولى من الإنسان. في كل يوم تستباح مدينتكم. اين الذين تهزهم احزاني. كل الحقوق مصانة في عرفهم. إلا حقوق امة القران. اني وإن يكن البكاء نقيصة. ابكي لحال في سائر الأزمان. أيها الكرام. عندما نتحدث عن بلاد الشام عموما وفلسطين من بلاد الشام. بل إن بركة بلاد الشام مستمدة من الأقصى الذي باركنا حوله. نتحدث عن دمشق على وجه الخصوص. فأنت تتحدث عن مدينة انتشرت منها الفتوحات الإسلامية شرقا إلى آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر، وغربا إلى شمال أفريقيا والأندلس، وشمالا إلى الأناضول. تتحدث عن بلاد بشر النبي صلى الله عليه وسلم بفتحها وذكر فضلها في أحاديث كثيرة. طوبى للشام. قلنا لأي شيء ذلك يا رسول الله؟ قال لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها. عليك بالشام فإنها خيرة لرسول الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده. ولئن غاب عنا ذلك أو بعضه فإنه لا يغيب عن أعدائنا أن نهوضنا وصحوته لا تعني هلاكه. هما مشروعا انهض وصحونا انتهوا. هم يعون هذه الحكمة. إما نحن أو لا يمكن. الحق يزهق الباطل. يدركون تماما ما معنى أن تعود دمشق لأهلها، وأن تنهض من كبوتها، ويدركون النور الذي ستنشئه الشام إذا أخذت قرارها وأمسكت بزمام أمورها.

أيها الكرام. بعد سقوط الخلافة العثمانية بما لها وما عليها. لكن الخلافة كانت توحد المسلمين من أدناه إلى أقصاه. بعد سقوطها تم تقسيم البلاد العربية والاسلامية وفق سايكس بيكو. ثم بعد عشرين سنة فقط زرع الكيان المجرم في أرض الشام تحديدا لكي يمنع نهوضنا، ولكي يكون من أولى مهامه الحيلولة دون تجمعنا من جديد. واليوم يتضح بجلاء ان مشروعه الجديد هو تقسيم المقسم وتجزيء المجزأ وإضعاف الضعيف أكثر وأكثر. ولن تنجو من هذه المكائد الا بأذن واعية تسمع وتعقل وتنقل الوعي وتربي الجيل على معرفة عدونا وماذا يريد منا ولماذا يشن حربه علينا. ثم اعداد انفسنا واولادنا لتحمل المسؤولية والابتعاد عن المساهمة في تحقيق مئارب عدونا دون شعور منا. عن طريق إثارة الخلافات ضمن أبناء الصف الواحد، فلا تفرق في ديننا شيعا وأحزابا. قال تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء. لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا. الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها.

وتمنى على الله الأماني. واستغفروا. والحمد لله رب العالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين. اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى ال سيدنا محمد. كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى ال سيدنا ابراهيم. وبارك على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد. كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى ال سيدنا ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات. إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات. اللهم برحمتك عمنا واغفر اللهم شر ما أهمنا وأغنا. وعلى الايمان الكامل والكتاب والسنة. بغفلتنا نلقاك وأنت راض عنا. لا اله الا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين وانت ارحم الراحمين. وارزقنا اللهم حسن الخاتمة. واجعل اسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راض عنا. انت حسبنا عليك اتكالنا. اللهم اهلنا في غزة كن لهم عونا ومعينا وناصرا وحافظا ومؤيدا وأمينا. اللهم أطعمهم من جوع وامنهم من خوف. اللهم أطعم جائعهم واكس عياله وارحم مصابهم وقاوم غريبه. واجعل لنا في ذلك عملا متقبلا. وسهما صالحا. وألهمنا طريقا لنصرتهم. واغفر لنا تقصيرنا فإنك أعلم بحالنا. اللهم قد تخلى عنهم القريب والبعيد. وما لهم ناصر إلا أنت سبحانك يا أرحم الراحمين.

اللهم كن لهم عونا ومعينا وناصرا وحافظا ومؤيدا وأمينا. اللهم بشرنا السحاب منزل الكتاب هازم الاحزاب سريع الحساب. اهزم الصهاينة المعتدين ومن والاهم ومن أيدهم ومن وقف معهم في سر أو علن. والسير كيدهم عنا يا أرحم الراحمين. واشغلهم بأنفسهم يا أكرم الأكرمين. يا رب قد أربتنا مكرهم بنا فأرنا مكرك بهم وأنت خير الماكرين. وانت خير الماكرين. اللهم إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا. فيا أرحم الراحمين عبادك المستضعفين في فلسطين وفي غزة وفي جميع بلاد المسلمين. اللهم هيئ لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويهدى فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، إنك ولي ذلك والقادر عليه. اللهم انصرنا على أنفسنا وعلى شهواتنا حتى ننتصر لك، فنستحق أن تنصرنا على أعدائنا. اللهم يا أرحم الراحمين اجعل بلادنا وبلاد المسلمين سخاء رخاء ابسط عليها من عذابك، وانت وامانك يا أرحم الراحمين. أي في هذه الأمة من يقوم بأمرها ومن يرفع عنها الظلم والعدوان. إنك ولي ذلك والقادر عليه ووفق ولاة المسلمين لما فيه خير البلاد والعباد يا أرحم الراحمين. أقول ما تسمعون وأستغفر الله.